رابط المادة على منصة باحث

تفسير ابن كثير

تفسير ابن كثير | شرح الشيخ عبدالرحمن العجلان | 21- سورة طه | من الأية 77 إلى 28

عبدالرحمن العجلان

قومه وما هدى يقول الله جل وعلا مخبرا عن نجاة موسى عليه الصلاة والسلام ومن معه واهلاك فرعون ومن معه وذلك ان موسى عليه الصلاة والسلام طلب من فرعون ان يرسل معه - 00:00:00

بني اسرائيل وكان يعده بذلك ولا يفي وكلما ارسل الله عليه بلية ونقمة تعهد لموسى بان يطلب من ربه ان يكشف عنهم ما اصابهم ويرسل معه بني اسرائيل فاذا كشف الله الغمة - 00:00:47

نكث فرعون ما وعده موسى وهكذا يقال انه بقي على ذلك يعد ولا يفي عشرون سنة وعند ذلك اوحى الله جل وعلا الى موسى عليه السلام ان يخرج بني اسرائيل - 00:01:32

ليلا من مصر وخرج بهم عليه الصلاة والسلام في الليل وكانوا كما يروى قرابة ستمائة وسبعين الفا وخرج بهم عليه الصلاة والسلام متوجها بهم الى جهة الشام قاصدا جهة البحر - 00:02:15

بامر الله جل وعلا والا فبامكانه ان يقصد بهم طريقا البر لكن الله جل وعلا امره ان يتجه الى هذه الطريق انتبه فرعون فاذا لم يبقى بمصر اسرائيلي واحد خرجوا كلهم - 00:03:02

مع موسى وفعل كما اخبر الله جل وعلا فارسل فرعون في المدائن حاشرين ارسل بان يجمع له جميع الجيش من كل جهة من اجل ان يخرج بهم لمقابلة موسى ومعه بنو اسرائيل - 00:03:43

وقد فصلت هذه القصة في السور البقرة الاعراف ويونس وفي هذه السورة وفي غيرها من السور وقال فرعون ان هؤلاء لشرذمة قليلون يعني هم في قبظتنا وخاصة لما علم انهم توجهوا الى جهة البحر - 00:04:15

تيقن بانه محيط بهم وانهم لن يفلتوا من يده فلما كان مع شروق الشمس خرج بجيشه كاملا متبعا اثر موسى ومن معه فرأى بنو اسرائيل وهم مع موسى انهم وصلوا الى البحر - 00:04:55

ثم التفتوا فرأوا فرعون بجيشه الجرار يمشي خلفهم وقالوا لموسى عليه السلام ماذا عملت بنا البحر امامنا وفرعون من خلفنا على مهرب هلكنا ووقعنا وقال موسى عليه السلام كما اخبر الله عنه - 00:05:38

ان معي ربي انا مأمور من ربي ولن يضلني فلما قرب فرعون ومن معه الى موسى ومن معه اوحى الله جل وعلا الى موسى انضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم - 00:06:22

اثنى عشر فريقا طريقا وصار البحر واقفا كالجبل بين هذه الطرق وارسل الله جل وعلا الريح البحر اشار فيه موسى عليه الصلاة والسلام ومن معه فلما خرجوا من الجهة الاخرى - 00:07:03

وفرعون في اثرهم اراد ان يتوقف عن دخول البحر فحظر جبريل عليه السلام وجمع معه من الملائكة على خيل فادخلوهم في البحر طريقا يابسة فلما خرج اخر بني اسرائيل واستكمل - 00:07:48

قوم فرعون داخل البحر امر الله جل وعلا البحر ان ينطبق عليهم فاغرقهم الله جل وعلا وبنو اسرائيل ينظرون وكان الكثير منهم لا يصدق ان فرعون يموت او يغرق لانه - 00:08:27

شيء كبير هائل في انفسهم لكنه لا قيمة له عند الله جل وعلا فارتطم عليهم البحر واخذت الامواج تتقاذفهم وتغشاهم سكرات الموت

عند ذلك قال فرعون امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنو اسرائيل - 00:09:02
وقيل له الان وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك اية عبرة وموعظة وكان الكثير من بني اسرائيل لا يصدق ان فرعون يموت او يغرق - 00:09:42
او يتعرض له افة وقال الله جل وعلا للبحر امره بان يقذف بهم وقذف بهم على ساحل البحر فرأى فرآهم بنو اسرائيل شرعى موتى وعرفوا ان الله جل وعلا اذا اراد شيئا - 00:10:09
فانما يقول له كن فيكون اجسامهم للغرق وارواحهم للنار يعذبون بها بكرة وعشية وهم في عذاب مستمر في البرزخ قبل يوم القيامة ويوم القيامة يردون الى اشد العذاب والله جل وعلا - 00:10:43
على هذه الامة قصة موسى عليه الصلاة والسلام مع فرعون وبين جل وعلا كيف دعاه الى الله جل وعلا وماذا كان موقفه من دعوة موسى ثم بين جل وعلا المآل - 00:11:16
والعاقبة وان الله ناصر اولياءه ومهلك من عاداهم وان العاقبة للمتقين ليكون في ذلك عظة وعبرة وبشارة للمؤمنين من امة محمد صلى الله عليه وسلم وتخويف ونذارة للمعرضين عن طاعة رسول الله عن طاعة الله وطاعة رسوله - 00:11:52
صلى الله عليه وسلم وانه جل وعلا وان امهل فانه لن يهمل وان وعده محقق بالنصر انا لننصر رسلنا والذين امنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد فوعد الله واقع لا محالة - 00:12:39
فهو جل وعلا اصدق القائلين ولكن كثيرا من الناس يستعجلون ويستبطئون والله جل وعلا حدد لكل شيء اجله والخلق في قبضته وبين يديه لن يفلت منهم احد فهو جل وعلا - 00:13:16
وان امهل فانه لا يهمل ففي ذلك عظة وعبرة وبشارة للمؤمنين ونذارة وتخويف من معرضين عن طاعة الله وطاعة رسوله يقول الله جل وعلا ولقد اوحينا الى موسى ان اسري بعبادي - 00:13:57
الواو حرف عطف عطف قصة على قصة قصة الدعوة المعطوف عليها والمعطوفة قصة النتيجة ونجاة المؤمنين واهلاك الكافرين ولقد اوحينا واللام هنا موطئا للقسم وقد حرف تحقيق وكل هذه مؤكدات - 00:14:37
الى موسى ان اسري بعبادي عنشرب عبادي بهمزة الوصل وهمزة القطع هنشري بعبادي همزة وصل من ان اسري بعبادي بهمزة القطع من اسرى والشري هو المسير الليلة كما قال الله جل وعلا - 00:15:15
سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى عبادي دليل لطفه جل وعلا بهم وقوله بعبادي افضل واحب الى العباد من قول اسر بمن معك او اسر ببني اسرائيل - 00:15:50
وللطف الله جل وعلا وعنايته بهم واضرب لهم طريقا في البحر يبسا واضرب لهم طريقا في البحر امره بان يتوجه الى جهة البحر فاذا وصله ضرب بعصاه ضرب البحر بعصاه - 00:16:33
فانفلق باذن الله جل وعلا فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا. قال يبسا. يعني يابس لان البحر وان نظب ماؤه ربما يكون الطين مزلقة لا يتحمل وطي الاقدام وتغيص او تدخل الاقدام في البحر - 00:17:10
في تربة البحر فقال الله جل وعلا يبسا يا مساء ويبسع قراءتان لا تخافوا دركا ولا تخشى لا تخافوا قراءة اخرى لا تخف لا تخف لا تخافوا دركا دركا لا تخف ادراك - 00:17:54
فرعون لك ولمن معك لا تخاف ان يدركوك فانت في نجاة منهم ولا تخشى لا تخشى من البحر ان يصيبكم بسوء لا تخف من خلفك ان يدركك ولا تخف مما ان ولا تخشى مما امامك - 00:18:45
من البحر لا تخافوا الا ان الجملة مستأنفة او حال حالة كونك غير خائف ولا تخف مجزوم على انه جواب الامر واضرب لهم في في البحر واضرب لهم طريقا اضرب امر - 00:19:24
فيكون مجزوما ولا تخشى مستأنفة لانه لا يظهر عليها اثر الجزم او مجزومة بحرف العلة المحذوف وهذا الحرف ليس حرف العلة وانما هو جيء به مراعاة لفواصل الاي ولذا اختار الاكثر - 00:19:52

قراءة الرفع لا تخافوا دركا ولا تخشى فتكون ولا تخشى معطوفة عليها مرفوعة بضمة مقدرة على حرف العلة اخره منع من ظهورها التعذر لا تخافوا دركا ولا تخشع فاتبعهم فرعون بجنوده - 00:20:28

لحقهم فرعون واتبع اثرهم بجنوده وجيشه وهو مئات الالاف وهو لا يشك بانه قاظ على موسى ومن معه لانهم شيء قليل بالنسبة لمن معه وان كانوا كما قيل ست مئة - 00:21:09

وسبعون الفا فانهم عدد يسير بالنسبة لجيش فرعون فاتبعهم فرعون بجنوده لم يتبعهم وحده وانما بجيشه واعوانه لحكمة يريدها الله جل وعلا. وهي اهلاكهم في لحظة في ساعة واحدة على مرأى - 00:21:45

من بني اسرائيل وما راء كمن سمع لو خرجوا خرج بنو اسرائيل ثم جاءهم الخبر بعد ايام لان فرعون هلك ومن معه لما كان مثل اذا رأوا ذلك باعينهم والبحر يلتطم عليهم - 00:22:18

وتتقاذفهم الامواج ثم يغرقون ثم يلقيهم البحر باذن الله على ربوة على ساحل البحر واتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم غشيهم غشاهم وغطاهم واهلكهم من اليم والمراد اليم البحر - 00:22:51

ما غشيهم التكرار للتهويل والتعظيم وانه شيء عظيم كما في قوله جل وعلا الحاقة ما الحاقة القارعة ما القارعة التهويل والتعظيم وتفخيم الامر وغشيهم من اليم ما غشيهم واضل فرعون - 00:23:29

قومه اظلهم بعكس قوله حينما قال وما اهديكم الا سبيل الرشاد بل اوقعهم في الظلال والهلاك واظل فرعون قومه وما هدى ما سار بهم فيما ينفعهم وكل مسيرهم في ضلال وهلاك - 00:24:07

ما هداهم في شيء ما ابدا لان من اضل قوما قد يهديهم في امر من الامور او في حالة من الحالات او في ساعة من الساعات وهؤلاء اظلهم فرعون وما هداهم - 00:24:54

في لحظة من اللحظات واظل فرعون قومه وما هدى بل اوقعهم في الردى والهلاك فاخرجهم من بلادهم التي هم امنون فيها ولهم فيها ما يشتهون من الجنات وغيرها اخرجهم ليهلكهم في قاع البحر باذن الله جل وعلا - 00:25:33

فهو دفعهم وساقهم الى الهلاك فكان مسيرهم لحدفهم وخروجه بهم لتمام الخزي والعياذ بالله وهكذا كل من اتخذ اماما وهاديا غير كتاب الله جل وعلا وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم - 00:26:14

فمآله الى الهلاك والظلال والضياع لن يفلح ولن يسعد لا في الدنيا ولا في الاخرة وان امهل في دنياه والله جل وعلا سينتقم منه واذا اراد ذلك انتقم جل وعلا - 00:27:00

انتقام قادر عليم ثم خاطب جل وعلا بني اسرائيل قائلا يا بني اسرائيل قد انجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الايمن نزلنا ونزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه في حل عليكم غضبي - 00:27:26

ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى واني لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا ثم اهتدى يخاطب جل وعلا بني اسرائيل وهل هذا الخطاب لبني اسرائيل في زمن موسى للمفسرين رحمهم الله - 00:28:06

يا بني اسرائيل قد انجيناكم من عدوكم والمراد بالعدو فرعون واذا كان هذا الخطاب لبني اسرائيل في زمن موسى عليه السلام والله انجاهم بانفسهم واذا كان الخطاب لليهود في زمن النبي صلى الله عليه وسلم - 00:28:39

الله جل وعلا انجى اباءهم والنعمة على الاباء نعمة على الابناء والذرية قد انجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الايمن وعدناكم الوعد وعد الله جل وعلا لموسى واضافه اليهم اما - 00:29:07

لانه ذهب موسى عليه السلام ومعه سبعون من بني اسرائيل لما ذهب ليكلمه ربه او وان كان المواعدة لموسى عليه الصلاة والسلام فان النفع في هذه المواعدة يعود لبني اسرائيل كلهم - 00:29:43

لان الله جل وعلا اعطاه التوراة وكلمه بما فيه سعادتهم وفلاحهم وكتب له التوراة جل وعلا التي هي هدى ونور لو اهتدوا بها واخذوا بها وواعدناكم جانب الطور الايمن جانبا - 00:30:22

الطور الجبل والايمن صفة للجانب والمراد الذي يكون على يمين الانسان والا فالجبل كما قال المفسرون لا يمين له ولا شمال وانما على

يمين الانسان جانب الطور الايمن هذه نعمة - 00:30:58
امتن الله بها على بني اسرائيل وما ترتب على هذا من التوراة التي كتبها الله جل وعلا لموسى عليه السلام ونزلنا التي التوراة التي فيها الحياة الروحية والسعادة الابدية ثم ذكر بعد ذلك - 00:31:32
ما فيه الحياة البدنية وقال ونزلنا عليكم المن والسلوى لما كانوا في التيه انزل الله جل وعلا عليهم طعامهم فاكهة يتفكهون فيها ولحما يأكلونه والماء النابع عليهم من الحجر من حجر صغير - 00:32:06
يحملونه فاذا ضربه موسى عليه الصلاة والسلام بعصاه خرج منه اثنتا عشرة عينا باذن الله جل وعلا وقد تقدم ذكر ذلك في الايات السابقة ونزلنا عليكم المن المن نوع من الحلوى لذيذ طيب - 00:32:50
ينزل من بعد الفجر الى طلوع الشمس فيأخذون منه كفايتهم ذلك اليوم كل يأخذ ما يكفيه والسلوى تأتيهم الطيور تأتي بها الريح باذن الله فيأخذ كل انسان يأخذ كل انسان ما يكفيه ذلك اليوم الى الغد - 00:33:21
ثم تأتيهم من الغد كذلك نعمة عظيمة انعم الله بها عليهم اللحم والمن فاكهة والماء للشرب وانزلنا عليكم المن ونزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه - 00:34:00
كلوا من الطيبات التي انعم الله بها عليكم ولا تطغوا الطغيان مجاوزة الحد يكون الاستعانة بالنعمة على المعصية او بعدم شكر هذه النعمة او بتظييع هذه النعمة وفي هذا تنبيه للامة - 00:34:47
بان عليهم ان يحمدوا الله جل وعلا على نعمه وان يستعينوا بها على طاعة الله وان يحفظوها بالشكر والحمد لله جل وعلا المتفظل المنعم وان النعم تدوم بالشكر وتضمحل وتذهب - 00:35:22
الكفر وباستعمالها في معصية الله او بعدم اداء حق الله فيها فاذا شكر العبد نعمة ربه واستعان بها على طاعته وبذل الحق الذي اوجبه الله جل وعلا من الزكاة وغيرها من الواجبات - 00:35:53
طيبة بذلك نفسه استدام هذه النعمة واستمرت باذن الله وزادت ونمت والا فانها تظمحل وتذهب والله جل وعلا يغار اذا كفرت نعمه وكما قال الله جل وعلا واذ تأذن ربكم - 00:36:27
لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد والزكاة حق الله جل وعلا في المال اذا اخرجت منه زكى ونمى وحفر باذن الله من الضياع والهلاك والغرق والحرق والخسارة وغير ذلك من الافات - 00:36:59
واذا بقيت فيه اهلكته اذا لم تخرج منه اهلكته وتعرضت له الافات من غرق او حرق او سرقة او خسارة او غير ذلك من الافات التي يسلطها الله جل وعلا - 00:37:34
على من شاء كيفما شاء جل وعلا كلوا من طيبات ما رزقناكم امر امتنان وتفظل ولا تطغوا فيه لا تطغوا بالنعمة والكثير من الخلق يكون مطيعا اذا كان فقيرا فاذا اغتنى - 00:37:57
تكبر وتجبر ونسي نفسه وقال من انا عصى امر الله جل وعلا واستعمل نعمته في معصيته وربما يمهل ويبقى على هذا زمن استدراجا والله جل وعلا يتوعد من كفر بنعمه - 00:38:37
ولا تطغوا فيه في حل عليكم غضبي فيحل او سيحل قراءتان بكسر الحاء وبضمها يحل يلزم ويجب يحل بمعنى ينزل بكم هل يحل بمعنى نزل به كذا حل يحل بمعنى - 00:39:09
لزم كذا ووجب قراءتان وقراءة الكسر اشهر ويحل عليكم غضبي يجب عليكم غضبي او يلزم لكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى هوا في قعر جهنم وقد هلك هوا - 00:39:54
في الهاوية سقط وضر نفسه ولما حذر جل وعلا من من كفران النعمة وحذر من عدم القيام بحقها وبين العقوبة على ذلك تلطف بعباده ودعاهم الى التوبة والتوبة تجب ما كان قبلها من ذنب وان عظم - 00:40:30
اعظم الذنوب الشرك بالله اذا تاب العبد منه واناب تاب الله عليه وقال جل وعلا واني لغفار لمن تاب رجع عن طغيانه وعنادة ومن معصيته ومن تكبره او غطرسته على عباد الله - 00:41:13

لمن تاب وغفار بمعنى كثير المغفرة فهي صيغة مبالغة هواية صفة الله جل وعلا الغفار لمن تاب رجع وامن بقلبه امن بالله وبملائكته وبرسله وبكتبه وباليوم الاخر وبالقدر خيره وشره - 00:41:48

وصدق ايمانه الاعتقادي هذا بالعمل الصالح لمن تاب وامن وعمل صالحا الطاعات فاذا ذكر الايمان مع العمل الصالح معا فالمراد بالايمان الاعتقاد عمل القلب والعمل الصالح عمل الجوارح اللسان والجوارح - 00:42:27

واني لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا ثم اهتدى استمر على ما كان عليه ثبت على ذلك حتى مات عليه استمر في عمل الطاعات واجتناب المحرمات تمسك بالكتاب والسنة اخذ - 00:43:06

بمنهج السلف الصالح الفرقة الناجية وترك الطرق المنحرفة والمعوجة التي حذر منها الرسول صلى الله عليه وسلم لقوله وستفترق هذه الامة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة - 00:43:42

قالوا من هي يا رسول الله قال من كان على مثل ما انا عليه واصحابي من كان على نهج السلف الصالح صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد حذر صلى الله عليه وسلم - 00:44:17

من الطرق المنحرفة المعوجة وبين ان الطريق الموصل الى الله جل وعلا هو طريق واحد طريق الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين فريق سلف هذه الامة وفي هذه الخاتمة - 00:44:43

في هذه الايات بشارة عظيمة من الله جل وعلا ونعمة عظمى بقبول توبة العبد مهما عمل من الذنوب وان الله جل وعلا يسارع اليه بالمغفرة فهو غفار جل وعلا جواد كريم - 00:45:17

يفرح بتوبة عبده ما لم يغرغر والله جل وعلا يقبل توبة العبد ما لم تصل الروح الى الحلقوم فاذا غرغر وعاين الملائكة فانه لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا - 00:45:46

وصار ايمانه اذا عاين كايمان فرعون الذي لم ينفعه الذي قال امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنو اسرائيل. وانا من المسلمين ففي هذه الاية يا رغيب من الله جل وعلا وحث - 00:46:17

لعباده بالمبادرة بالتوبة وان العبد لا يستعظم ذنبه مهما عظم فان الله جل وعلا جواد كريم غفور رحيم يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل - 00:46:41

تحري بالعبد الذي يريد نجاة نفسه ان يبادر بالتوبة الصادقة النصوح الى الله جل وعلا وخاصة في هذه الايام وهذه الليالي المباركة وخاصة في مثل هذه الليلة التي يتحرى فيها ليلة القدر - 00:47:10

فهي احرى الليالي ولا يجزم وانما هي احرى الليالي بليلة القدر ليلة سبع وعشرين يتضرع العبد لربه جل وعلا بخضوع وتذلل واستكانة بين يديه وطلب للمغفرة والرحمة ويعاهد ربه بالا يعود الى المعصية - 00:47:36

ويندم على ما فرط منه ويعزم على الا يعود ويكرر الاستغفار والتوبة وقد كان نبينا صلى الله عليه وسلم الذي هو افضل الخلق على الاطلاق وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر - 00:48:13

كان عليه الصلاة والسلام يتوب في اليوم اكثر من سبعين مرة ويكرر العبد الاستغفار والتوبة ولتكن توبة صادقة نصوحة بعزم الا يعود الى المعصية مرة اخرى واما قول القائل استغفر الله واتوب اليه - 00:48:39

وهو مصر على ذنبه وملازم له فهذه كما قال عنها الامام علي بن ابي طالب رضي الله عنه توبة الكذابين والله جل وعلا يقول يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا - 00:49:09

صادقة خالصة صادرة من القلب الى الله جل وعلا وهو جل وعلا جواد كريم يقول واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون - 00:49:31

يقول الله جل وعلا واني لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا ثم اهتدى لمن تاب رجع وتوقف عن المعصية واقبل على الطاعات وامن بقلبه صدق التصديق الجازم امن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر - 00:49:58

وبالقدر خيره وشره وعمل صالحا وصدق ايمانه بالعمل وليس مجرد زعم او دعوة بل صدق ما يقوله لانه مؤمن بعمله الصالح وعمل

صالحا عملا صالحا نافعا فمن كان يرجو لقاء ربه - 00:50:29
فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا وعمل صالحا ثم اهتدى استمر ولزم الصراط المستقيم وابتعد عن الشرك واهله الشرك يحبط العمل يقول الله جل وعلا ولقد اوحي اليك - 00:51:02
والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ولا تكونن من الخاسرين فقد يجتهد العبد في الطاعات باخلاص لله ثم ما يلبث ان يتلاعب به الشيطان ويقع في الشرك يذهب الى - 00:51:30
قبور من يزعم انهم اولياء والله اعلم بحالهم يطلب منهم المدد او الشفاعة او النفع او الظر او غير ذلك وهذا شرك اكبر محبط للعمل كله الشرك اذا خالط العمل - 00:51:57
احبط اوله واخره احبطه كله والعياذ بالله فاذا وفق العبد وتاب منه تاب الله جل وعلا عليه والله اعلم وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين - 00:52:21